بين زمنين.. رمضان من الاقتصاد والعبادة .. إلى الهموم والمعاناة!!

*** .. لقد طرأ على مجتمعنا الكثير من المتغيرات ما أدى إلى تغير في النسيج الاجتماعي والعادات والتقاليد المتوارثة من قديم الزمان حيث لعبت التكنولوجيا والعامل الاقتصادي وغيرها من الأسباب دورا في هذا الجانب خاصة في ما يتعلق بطقوس الشهر الكريم (رمضان) والذي لم تعد فيه تلك العادات والشعور بقدسية وروحانية الشهر الفضيل كما كان في الماضي، فالجميع يفتقد تلك الأجواء والعادات والتقاليد التي تلاشت مع مرور الزمن..**

وفي هذا الاستطلاع نرصد الفرق بين رمضان الأمس واليوم..فإلى الحصيلة..

استطلاع / رجاء عاطف

★ لقد عشنا رمضان في السبعينيات كأحلى لحظات العمر هكذا بدأ الدكتور سمير السدمي- مدير مؤسسة أدوية، حديثه، وقال: كنا نستقبل هذا الشهر الكريم في الصغر بأن نجتمع في الحارة من -10 15 طفلاً ونقوم بتجميع إطارات السيارات قبل رمضان بيوم أو يومين وعندما يتم الإعلان عن رمضان نقوم بإحراقها والاحتفال وأيضا نقوم ببناء غرفة في الحارة تسمى (محراس) لنجتمع فيها بعد العشاء وكل واحد منا يحضر معه أكلاً من منزله ونصنع مائدة لنا جميعا ولم يكن المحراس للأكل فقط بل كنا نستمع فيه للقصص والحكايات الطريفة والمخيفة وكل منا يجود بما لديه وبما يحفظ وكل هذا على نور الفانوس الذي كنا نجمع حتى قيمة (القاز والكبريت) الخاص به وكنا نتوجه من المحراس لنطوف بالحارة مرددين أناشيد رمضان (نمسي) يا رمضان (يا مسا جيت أمسي عندكم - علي علي ياعلي لمه لمه)، حيث كان أهل الحارة يرمون علينا من الشبابيك بعض الريالات وأحيانا بعض المكسرات والحلوى، وكانت هناك ألعاب نمارسها في رمضان كالزراقيف والأزرار وكان أكثر ما نلعبها في الصباح أما وقت العصر فنذهب للمسجد لحضور الدرس عند سيدنا إلى أن يقترب وقت المغرب فنذهب لنأخذ الفطور ونعود للمسجد ننتظر صوت المدفع لأذان المغرب وكانت المساجد آنذاك تغلق بعد صلاة العشاء مباشرة، ولما كبرنا قليلا اختلفت بعض تلك الطقوس فقد كنا نجتمع لمذاكرة الكتب المدرسية في المسجد، وكنا نذهب -مجموعة من أبناء الحارة- في نزهة (دورة) إلى حارات أخرى أو مناطق بعيدة وكانت صنعاء حينها غير مزدحمة بالمباني فكنا نمشي من حارتنا (بئر أبو شملة) إلى مستشفى الكويت وكنا نتأثر بالمسلسلات التاريخية والإسلامية التي كانت تأتي في رمضان مثل مسلسل محمد رسول الله فكنا نقوم بصناعة السيوف أو شرائها من سوق المحدادة في صنعاء القديمة، حيث كان هناك من يقوم بصناعة سيوف للأطفال وكنا نقوم بتمثيل أدوار أبطال تلك المسلسلات والمبارزة، وكنا نودع رمضان كما كنا نستقبله بإشعال إطارات السيارات إعلانا بقدوم العيد، وأضاف السدمي: مما أتذكر عن رمضان فيما مضى فقد كان يجتمع الأقارب في كل عائلة كل ليلة في بيت واحد منهم لتناول العشاء والسمر الرجال في مجلس والنساء في مجلس، وكانت الموائد عامرة بالبركة والمجالس فواحة بالأنس والروحانية والقلوب يغمرها السعادة والسرور فما أحد منا عاش تلك الأوقات ولم يفتقدها، أما الآن فقد تبدلت الأحوال وتغيرت القلوب وطمست تلك الطقوس وحلت نوادي الانترنت مكان ذاك المحراس والألعاب الالكترونية مكان تلك الأزرار والسيوف والانشغال بالبحث عن لقمة العيش ألهانا عن تلك الاجتماعات العائلية كل ليلة، وفي كل حال لازال رمضان شهر الخير والبركة ونسأل الله تعالى أن يكتب لنا صيامه وقيامه ويثبت لنا الأجر فيه وأن يعيده على الأمة الإسلامية وهم في أمن وأمان وصحة وعافية.

الزمن الجميل

★ ويتفق معه في الرأي يحيى قاسم سرور 50 عاما، ناشط يقول: رمضان الأمس كان جميلاً بكل ما تعنيه الكلمة ونستعد له من قبل الشهر الكريم حتى بتجصيص البيوت وتجهيز المتطلبات كاملة لهذا الشهر، أما الشباب يا فرحتهم مليون فرحة برمضان يا بو الحمايم وادي لنا (شغته) دراهم، هكذا كانت الأمسيات الرمضانية والمساء والسمر والحراق وقتها فرحا بالإعلان عن قدوم رمضان ومن شبابيك المنازل نتسابق على (البقش) الريالات في فرحة وبسمة لا توصف ومرح وسعادة غامرة تملأ القلوب وأما في المساجد في بيوت الله العامرة الكل يؤدي الصلوات الخمس وقراءة القرآن الكريم والجوامع ممتلئة بالمصلين، أما الحلويات الصنعانية فهي حاضرة في كل مائدة للبيوت العامرة وفي طيسان مغلقة محكمة نظيفة وليس (مشمعات) أكياس، لا تسر الخاطر، أما اليوم فالحال تغير والنفوس تغيرت والبسمة اختفت من وجوه الشباب والصغار وصار القلق والحراف إلا من رحم ربي حتى التراحم قل بين الجار والجار، أليس الماضي جميلاً، آه لو حافظنا عليه لكن التطور أحزننا وأبعد عنا الابتسامات.

لا توجد فرصة

★ وأما أم علي 44 سنة -ربة بيت- فتقول: كنا نستعد لرمضان بتلاوة القرآن الكريم وتهيئة النفس للصوم من قبل في بعض أيام من شعبان ونقوم بتجهيز المجالس لنستقبل فيها الضيوف للسمر وكانت العلاقات الاجتماعية قوية الصلة بين الناس وبين الجار وجاره وكذلك كانت هناك أعمال دينية نقوم بها في مجالسنا كالصلاة على النبي وذكر الله وكل ما يشعرنا بروحانية رمضان، وهذا الشهر الفضيل، أيضا كان الناس والجيران يتبادلون الأطباق من الطعام من منزل إلى آخر، أما الآن في الوقت الحاضر فقد طغت القنوات الفضائية وبرامجها على الناس ولم تترك الفرصة ليستعدوه لاستقباله أتم الاستعداد كالسابق والعمل فيه كما ينبغي لأن المسلسلات والمسابقات الرمضانية أصبحت تشغلنا عن ذلك كله، وكذلك حتى العلاقات بين الناس بعضهم لبعض ضعفت إلى حد كبير وحتى الجار لا يسأل عن جاره ولذلك فقد ضاع الكثير مما كان يميز هذا الشهر عن بقية الشهور في الماضي وقد يكون السبب اقتصادياً بدرجة رئيسية هو أثر على هذه العادات والتقاليد التي كان أجدادنا وآباؤنا يحتفظون بها.

حياة شاقة

★ وترى الأم تقية، 53 سنة -ربة بيت- أن الحياة سابقا كانت سهلة وبسيطة ولا أحد يهتم بالمصاريف أو المواد الاستهلاكية، وكان هناك تراحم بين الناس الفقير يعطي الغني ونتسابق على الأجر جميعا والآن أصبح الناس أقل إيمانا في رمضان ولم يعد هناك تبادل لأطباق الإفطار وتقديمها إلى المساجد للصائمين كعادة كنا نتبادلها وكذلك التجمعات في الحارات والأهل فيما بينهم، حيث كنا نتبادل الزيارات والأكلات وإعداد الطعام مع بعض وكانت بسيطة ومتواضعة، كنا نطبخ العصيد والفتة والشفوت والهريش والزوم واللبن والأكل البلدي الذي يدفئ البطون والملوج والخبز وغيرها من الوجبات التي كنا نعتمد عليها في السحور والإفطار أما الآن فقد زادت الطلبات وأنواع الطعام والحلويات فالمرأة تدخل المطبخ من صلاة الظهر حتى المغرب وهي تصنع ما لذ وطاب تاركة العبادة والنوافل وقراءة القرآن خوفا من التقصير على أسرتها حتى ينقضي يومها وهي منهمكة في الإعداد والتقديم وتكون في حالة يرثى لها من شدة الإرهاق والتعب من الوقوف في المطبخ، وقالت: كنا نجتمع في أحد المنازل وحينها نتساعد على تنقية الحبوب لنقضي على الوقت لعدم وجود التلفاز وكذلك الأطفال يقضون أوقاتهم مع بعض في اللعب وأيضا نتبادل القصص و(الحزاوي) الطريفة ذاك الوقت والتي كانت تشبه قصص ألف ليلة وليله، ونتسامر عليها حتى وقت السحور ومن ثم نذهب لإعداد السحور والصلاة وتلاوة ما تيسر لنا من القرآن، رغم أن الحياة كانت شاقه ولكنها بسيطة في نفس الوقت وكنا نؤدي واجباتنا على أكمل وجه، ويأتي رمضان بالبركة والرزق والخير.

دور سلبي

★ تلك كانت هي وجهات نظر من عاش طقوس رمضان في الماضي وشعر بروحانية الشهر الكريم ووجد الفرق بين الحاضر والماضي وتمنى أن يعود، أما جيل الحاضر ممن لا تسعفهم الذاكرة بالعودة إلى الماضي فإنهم حينها كانوا صغار السن لم يعوا الاختلاف إلا ما ندر وكذلك لما يحكيه الآباء والأجداد عن رمضان وأيامه وأسماره التي لا تنتهي، الشاب سيف البرطي -مصور- أشار إلى أن هناك اختلافاً كبيراً بين رمضان الأمس واليوم، وأن رمضان الأمس يفوح بعبق العادات والتقاليد الرمضانية فقد كان كثيرا ما يتم الاستعداد له خاصة من قبل المثقفين من خلال تجهيز مجموعة كبيرة من الكتب ليتم قراءتها في ليالي رمضان، اليوم لا شيء من ذلك ولعبت وسائل الاتصال والفضائيات دوراً سلبياً في إفساد الجو الرمضاني، وأيضا ونحن أطفال نخرج وننشد (يا رمضان يا بو الحمايم أدي لابي قرعة دراهم - ويا رمضان يا بو المدافع أدي لنا مخزان بضائع)، كما كنا ننطلق صوب المنازل في الحارات والأحياء، منشدين يا مسا أسعد الله المسا - يا مساجد الله الكسا- يا مسا جيت أمسي عندكم- يا مسا والجمالة هي لكم، وكما كان من أجمل العادات في رمضان المدفع الذي اعتدنا على سماعه إعلاناً عن وقت الإفطار وكان هناك على ما أذكر مسحراتي يدق الطبل وقت السحور (سحورك يا صايم قوم واعبد دايم) وللأسف اختفى كل هذا حتى المدفع لم يعد موجودا وأصبح الناس يسهرون أمام التلفاز حتى وقت السحور وكثيرا من العادات التي تلاشت مع الزمن لم تعد الآن موجودة، كم نفتقد اليوم رمضان الأمس.

بساطة وعفوية

★ والشاب هاني نواس -موظف- يقول: عندما نتحدث عن رمضان في زمننا فإن الفوارق تأتي بتتابع السنين والأزمان ولو قارنا رمضان في زماننا وزمن الرسول عليه الصلاة والسلام لوجدنا أننا أخللنا بما يجب علينا أن نعمله في هذا الشهر الفضيل وكيف نستعد له سواء من الجانب المعنوي والمادي والاجتماعي والاقتصادي والروحي والتربوي أيضا، كثيرا هي الفوارق التي سنجدها بين ذاك الزمن وهذا، ومع كل ذلك سنجد أيضا اختلافاً كبيراً في زمننا الذي نعيشه نحن من عام إلى أخر وكذا السنين التي عاشها آباؤنا فنلاحظ أن البساطة والعفوية التي كان عليها آباؤنا في تعاملاتهم في شهر الرحمة والغفران وكيف كانوا يكرسون أكثر وقتهم لقراءة القرآن ويبتعدون عن مشاغل الدنيا وهمومها وكيف كانت أيضا الأجواء من ناحية الأمطار والهدوء، وحين نتأمل أن الأمس القريب أصبح ماضياً بعيداً عندما نرى أنفسنا نفتقد لأيام حدثنا عنها آباؤنا وقرأنا عنها فهي كانت في منتهى الروعة والبساطة في حين نرى أنفسنا نتعامل مع هذا الشهر باختلاف كبير فرمضان أصبح مادياً واقتصادياً وترفيهياً لدى الكثيرين نظرا لما طرأ على الحياة من تطورات فرضت نفسها على كثير من المجتمعات وهذا بدوره ينعكس على شخصية الإنسان حين يبدأ تفكيره وهمه الأول كيف يؤمن متطلبات هذا الشهر وكيف سيقضيه سواء في العمل أو أمام البرامج والمسلسلات أو في التجارة، الأمر الذي أضعف الجانب الروحي والإيماني فينا والذي نفتقده كثيراً في زمن أصبحت مغرياته في صراع مع ذواتنا ومبادئنا التي تربينا عليها والتي حث عليها ديننا الحنيف ..

وتابع: حين نرى كل الاختلافات ونتأملها بعين الصواب في الأمس واليوم يتوجب علينا أن نسعى إلى الارتقاء بأنفسنا لنيل الفضل الكبير من الله ونجاهد أنفسنا على ترك كل ما من شأنه أن يبعدنا عن تحقيق السعادة المبتغاة، وليس أن نجعل من تلك المقارنة إحباطاً لذواتنا ومانعاً لتحقيق حياة أفضل فالتفكير الإيجابي هو أن نأمل في مستقبل أفضل ونبذل كل الأسباب التي ستمنحنا ذلك المستقبل المشرق في كل جوانب حياتنا.

تغيرت الأحوال

★ من جهته يقول الدكتور عبدالرزاق الأغبري: رمضان الأمس واليوم وغداً، لم ولن يتغير، وإنما تغيرت الأحوال فقط .. وبها تختلف الأدوات لكل مرحلة ولكل زمان .

وأيضا كان رأي نوح الرياشي بأننا الآن نفتقر إلى الجو الإيماني الحقيقي لرمضان وذلك بسبب انجرافنا وراء الفوضى السياسية التي تجتاح العالم العربي وانصرافنا وتطلعنا إلى المستجدات والتحديات على الساحات السياسية.